الأهرام

المصدر : الحياه

التاريخ : ٢ اغسطس ٢٠٠١

طوافة ضد العولمة

■ كثيرون هم المناهضون للعولمة. بعضهم يتمسك بالثراء والتقدم اللذين تخلقهما ويريدها أعدل في توزيع العائد. بعضهم يخاف التغيير الكبير الذي تحدثه في مألوف الحياة مصراً على بقائه. بعضهم يحاول تنظيم جمهرة المستهلكين وتأليب المجتمع المدني في مواجهتها. بعضهم يستهويه العنف وتحطيم الواجهات والمخازن.

والأنشط بين الأخيرين هم الفوضويون. تسميتهم العربية ليست دقيقة لارتباطها بـ«فوضى» غامضة وعامة. الفوضوية المقصودة هي رفض الدولة والسلطة والشركة والمؤسسة على عمومها، والاندفاع من دون أي وسيط تنظيمي الى «المجتمع اللاطبقي». وهذه الفلسفة التي كان الروسي ميخائيل باكونين أبرز أعلامها، كانت وراء عدد من الاغتيالات الكبرى. برصاصها سقط القيصر الروسي الكسندر الثاني عام ١٨٨١، والرئيس الاميركي وليم ماكينلي في ١٩٠١.

وعداء الفوضويين للتنظيم، والدولة كأعلى أشكاله، حملت دارسيهم على تسجيل نقطتين: أولاهما، ان نزعتهم تقوى حيث الرأسمالية والتقدم ضعيفان. لهذا ازدهرت، أواخر القرن ١٩ وأوائل الـ٢٠، في اسبانيا وروسيا وايرلندا لا في بريطانيا وفرنسا وسويسرا. والثانية، أن تصورها للتغيير ينطوي على رومانسية زراعية وفلاحية عبر عنها خصوصاً «الأمير» الروسي بيتر كروبوتكين. لهذا تتوهم التغيير مجرد اغتيال لشخص، بعيداً عن عمليات أشد تعقيداً.

اللبنانيون الذي يريدون التصدي للعولمة ولمنظمة التجارة العالمية هم من هذا الصنف. لا يمكن أن يكونوا من صنف نموذج عولمي أعدل لأنهم لا يملكون تصوراً له. أفكارهم توحي بذلك ويوحي به تعايشهم مع العميد والنقيب والرقيب. أهم من هذا، أن عداءهم للدولة والتنظيم لا يرقى اليه شك. لكن ميزتهم ان العداء المذكور يتربع في سدة السلطة. وله اسم وايديولوجيا هما الطوافة.

فاللبنانيون مشكلتهم ان الرساميل لا تتدفق على بلدهم، وليس المعاناة من تدفق الرساميل. مشكلتهم ان وسائط الاتصال والتواصل بينهم ليست حرة، وسبق للنائب والوزير السابق باسم السبع ان كشف أحد جوانب هذا «التجاوز»، وليس التشيء الانساني الذي تسببه هذه الوسائط. مشكلتهم. ان التشوه الكبير اللاحق بتمثيلهم وحياتهم السياسية عائد أولاً الى الطائفية كما الى التبعية السياسية لدمشق، وليس نتاج هيمنة الشركات العابرة للحدود. مشكلتهم أنهم ماضون في تحرير وهمي بعد انتهاء التحرير، وليس في الاستلاب الانساني الناجم عن تلطير الطبيعة وبقرطة البيئة.

بلغة اخرى، يريدون التصدي للعولمة بسلاح الطوافة ونموذجها. وكما ان نزع الدولة لا يوصل الى «المجتمع اللا طبقي»، بل الى الخام والأول والسابق على التشكّل، والى تحكم القوي بالضعيف من دون تحكيم او ردع او توسط، فهذا بالضبط ما تفضي اليه حرب كاللبنانية: حرب انتصرت الى حد صارت معه سلطة تقاوم العالم والعالمية والعولمة. الا أن اللبنانيين بدل ان يواجهوا أمورهم يهربون الى الأمام. هكذا هربوا مرات كثيرة في السابق، مبالغين في «التضامن» و«الشجب» و«التأييد» لحركات كبرى من مواقع انشدادهم الى قرى وضيع وأحياء وعائلات.

وكما هم اسخياء في الهرب الى القضايا، هم اسخياء في استقبالها لأن غيرهم بحاجة الى ساحة. وبيروت الساحة الوحيدة. الساحة التي لا تتعب.

لكنْ كي لا نظلم فوضويي أوروبا ينبغي أن نشير الى ان أحداً لا يستفيد من تحركهم. تحركهم مجرد عمل لوجه الفوضى. صحيح ان كثيرين من أبريائهم وسذّجهم انتهوا في ايدي اجهزة وبلدان تستخدمهم ضد اجهزة وبلدان اخرى. او انتهوا من حيث لا يدرون خدماً لأجهزة وبلدان ضد أجهزة وبلدان. لكن هذا بات من الماضي الامبراطوري لأوروبا.

ثم ان الفوضوية الأوروبية تعززت دائماً بمكتبة زينت الحياة البسيطة للجماعات الصغرى ودانت تعقيدات الاقتصاد المالي وفساد تقسيم العمل والمجتمع الحديث. أما عندنا فـ... لا خيل عندك تهديها ولا مال...

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية